هناك مايشبه الإنكار والمرارة . وقد بقيت الطبيعة دهرا طويلا دون أن تفقد طفولتها ، ولكن تبدو هذه الطفولة أمامنا وكأنها تتحدى الإنسان بتجاربها الكثيرة وحكمة السنين المتوالية .

والغصن ميال ، وقد عبقت حلل النسيم بنفحة الرند

هنا نلاحظ أن الغصن يرقص متدفقا ـ إن صح هذا التعبير ـ كما صنع الماء . الغصن يتبختر ، ويوشك أن يلحقه ما يلحق السكارى ، فقد امتلأ النسيم برائحة الرند الطيبة . وهناك شيء من علاقة خفية أشبه بعلاقة الجنس فى هذا البيت ، ولأمر ما لبس النسيم ثيابا جديدة جميلة . ولكن حركة الغصن تعيش فى جو البدر الساحر الشاحب أو جو الطفل الذى شاب . وقد أذن الشاعر لهذا الناشيء الجديد أعنى الغصن أن يجرب حركة راقصة ، وأن يعبر عن قواه الكامنة ، وأن يعزف لحنا آخر ، على حين أذن لرائحة الرند أن تنافسه من بعد ، ونخشى على حركة الغصن أن تذوب فى هذا الجو المحمل بالرائحة القوية .

وهنا يبدأ المازنى فيترجم عن لغز الطبيعة الجميلة ، ويتحداها تحديا لا يخلو من وضوح .

هل تعرف الحسناء واعجبى
لشحوب لون الورد من سبب
وذبول جفن النرجس العجب

هنا يكون الورد شاحبا بعد أن تأمله المرء أكثر من مرة . ويظهر النرجس وقد ذبل جفنه . وينسجم هذا كله مع البدر الذى أشحبه الأرق ، ربما يتساءل المازنى أليس الورد الشاحب طفلا شيخا . أليس النرجس الذابل الجفن طفلا شيخا ؟ ومغزى ذلك أن شحوب الورد ضرورة لازمة لطفولته ، وأن ذبول جفن النرجس ضرورة لازمة لطفولة النرجس . يصبح الورد والنرجس طفلين حكيمين ، فالحكمة لا تخلو من مسحة حزن غامضة ، ولكن أحزان الحكمة ليست ضيقا بالتجارب المتدفقة . إنها أقرب الى البهجة المعتقة التى يعجز عن إدراكها الطفل أو الشاب الغارق فى بحر الطفولة والشباب .

وصدودها عنى وقد علمت انى ليعطرفنى قذى الصد